

د/أسماء العايب

دروس مقياس النقد الموضوعاتي

سنة الثالثة ليسانس نقد ومناهج

2026/2025

المحاضرة الأولى : مفهوم المقاربة الموضوعاتية:

تمهيد:

تعتبر المقاربة الموضوعاتية -أو النقد الموضوعاتي- واحدة من أهم المناهج النقدية التي أحدثت نقلة نوعية في كيفية قراءة النصوص الأدبية في القرن العشرين. فقد أعلنت القطيعة مع المناهج التقليدية -التاريخية والبيوغرافية- التي كانت تشغل بسيرة الكاتب وظروفه الخارجية، لتوجه بوصلة النقد نحو النص، بوصفه عالما مستقلا بذاته.

يسعى هذا المنهج إلى استنطاق البنية الداخلية للنص، عبر البحث عن التيمات المتكررة؛ التي تشكل هواجس الكاتب الكبرى، والتي تمنح النص وحدته وتكشف عن رؤيته للعالم، إلا أنّ هذا الثراء المنهجي لم يمنع ظهور إشكالات مفاهيمية، حيث يبرز اضطراب على مستوى الجهاز المصطلحي للمقاربة الموضوعاتية.

أولاً: المدخل المفاهيمي-تحديد المصطلحات :

بداية تجدر الإشارة إلى الاضطراب الحاصل على مستوى الجهاز المصطلحي للمقاربة الموضوعاتية، وهذا ناتج من تعدّد المقابلات العربية لمصطلح النقد الموضوعاتي، كما يكمن عصب الإشكالية أساساً في ضبابية المفهوم الأساسي الذي تقوم عليه المقاربة النقدية الموضوعاتية، وهو مفهوم الموضوع والمقصود منه، وقد تعدّدت تعريفات الموضوع والموضوعاتية بناء على المرجعيات الفلسفية والجمالية للنقاد المشتغلين في حقلها، إذ يعدّ الموضوع حجر الزاوية في هذا المنهج، وقد وردت له عدة دلالات اصطلاحية ولغوية: في "الأصل والاشتقاق: يشتق المصطلح من الكلمة اليونانية (tithènai) والتي تعني "الشيء الذي نضعه"،

وتطور ليدل على فكرة أو قضية يتم تطويرها في خطاب أو مؤلف أدبي أما عند "جان بيير ريشار":عرفه بأنه إحدى الوحدات الدلالية في العمل الأدبي، وهو صنف من أصناف التواجد يتميز بفعالية خاصة داخل النص، كما وصفه بأنه وحدة (حسية أو علايقية أو زمنية) تسمح ببسط العالم الخاص للكاتب عند "دانييل برجيز": هو النقطة التي يتبلور عندها الحدس بالوجود داخل النص و عند "ميشيل كولو: هو مدلول فردي خفي ومادي يعبر عن العلاقة الانفعالية للمبدع مع العالم الحسي، ويظهر عبر التكرار المتجانس في النصوص، إضافة إلى مصطلح الموضوع نجد مصطلحا يستعمل كمرادف له وهو مفهوم "الجذر (Root)" استخدمه "جان بيير ويبر" و"نبيل راغب" للدلالة على الفكرة الرئيسة أو الحدث الذي يظهر بصورة شعورية أو لا شعورية في العمل الأدبي، ويوجه فن المبدع وفكره.

فالموضوع إذن ليس كلمة بل كوكبة أو شبكة من الدلالات تتكرر في تركيب خاص كما اختلاف تعريفات الموضوع فإنّ النقد الموضوعاتي : "يتبع مسار الموضوع في أعمال المؤلف برمتها، عوض البحث عن الدلالة في سياقها التاريخي.

عليه فالمقاربة الموضوعاتية هي تلك المقاربة النقدية التي؛ تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة، مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص، وتحديد نسبة التوارد لتحديد العنصر المكرر فكريا، سواء أكان ذلك في الشعر أو النثر، إذ تهدف هذه المقاربة كذلك إلى استخلاص البؤرة المعنوية، واستجلاء الخلية العنوانية، وتحديد الجذر الجوهري، ورصد الفعل المولد واستخراج النواة الأساسية التي يتمحور حولها النص إسنادا وتكملة، عبر عمليات نحوية إبداعية كالحذف والزيادة،

والتحويل، والاستبدال، فالنقد الموضوعاتي إذن معني بالدرجة الأولى بتتبع الشبكات الدلالية التي تنشأ بواسطة إدراك الأنا المبدع (الكاتب) في لحظة زمنية معينة لظاهرة ما أو لشيء ما من خلال الخيال، حيث تترابط الدلالات المتلونة في عمق الأثر الأدبي، وتختفي التناقضات فيما بينها، ويزول التفكك الذي يحل محله الانسجام والتماسك تحت مهاد تيمة أو موضوع أكبر، مهيمن شامل لدلالات النص الأدبي، وتجربة الكتابة في نظر النقاد الموضوعاتيين هي : تجربة جمالية ذاتية، يلتزم فيها الكاتب بالشكل والمضمون .

كما أنّ الناقد الموضوعاتي أثناء نقده ودراسته يتجاوز النص الواحد لمؤلف ما إلى جميع نصوصه، أو إلى نسبة مهمة منها على الأقل؛ حسب ما جاء في دراسة جان بول ويبر لأعمال ستاندار بالخصوص.

ثانيا: مميزات المقاربة الموضوعاتية

تعتبر المقاربة الموضوعاتية واحدة من أشكال النقد المختلفة إذ تتميز عن غيرها من أشكال النقد كما تتميز باتساع مشاربها إذ تنطلق أولا من دحض المسلمة " التي يسلم بها التاريخ الأدبي والنقد الجديد التحليلي النفسي والسوسيولوجي ومفادها أنّ الأدب تعبير عن الإنسان والمجتمع والتاريخ، كما أعطت تصورا جديدا للأدب، موروث عن الرومانسية قوامه أنّ العمل الأدبي ليس تعبيرا عن شيء موجود قبله وليس انعكاسا لخبرة سابقة للعالم، بل جوهره إبداع وكشف لمعان مناطق مجهولة خفية"النقد الموضوعاتي نقد يختلف عن النقد الاجتماعي والنفسي والتاريخي لأنّه يشتغل على مناطق النص العميقة" فهو نقد داخلي والقراءة الحقة هي تلك التي ترى أن علاقة الكاتب بالعالم وبغيره من الناس وعلاقته بنفسه أيضا متضمنة

كلّهما في العمل الأدبي لأنّه المحل الذي يخترع فيه الكاتب نفسه ويكشف عنها " ومن ثمة فالناقد الموضوعاتي ليس بحاجة إلى أرشيف أو وثائق تاريخية بل هو بحاجة إلى "أن يتوافق مع النص ويعيش التجربة الروحية التي عاشها الكاتب لأنّه مطالب بأن يعيد "بنيات العمل الأدبي الموضوعية إلى الفكر الذي أنتجها فالقراءة الموضوعاتية تتمّ عن طريق " التأمل المكثف في العمل الأدبي والتركيز على العقل الذي أنتجه باعتباره تجربة فريدة" فهي قراءة غائرة تنطلق من رفض أيّ تصور شكلاني للأدب "وترفض اعتبار النص الأدبي غرضا يمكن الوصول إلى معناه عن طريق التقصي العلمي فالأدب في نظر الموضوعاتية تجربة أكثر منه معرفة وجوهر هذه التجربة وكنهها جوهر روحي

ومن ثمة فالناقد الموضوعاتي هو باحث عن "مسار موضوع ما في أعمال مؤلف برمتها عوض البحث عن الدلالة في سياق تاريخي" ومن أهم الخصائص التي حدّدها حميد لحميداني والتي تحدّد طبيعة النقد الموضوعاتي مايلي:

*مبدأ الحرية، وعدم التقيد بالنظرية النقدية في الأغلب الأعم.

*قابلية احتواء جميع المناهج أو الاستفادة منها .

*اعتبار العمل الإبداعي معبرا عن أفكار المبدع الواعية واللاواعية على السواء، لذا يكفي التعامل مع العمل الإبداعي، لكي نتعرف على جميع آراء المبدع المخفية والظاهرة

*مشروعية استعمال الحدس في العملية النقدية والآراء القيمية .

*وضع صيغ تيمائية وتشبيها إمّا داخل نظام محدّد أو بدون نظام واضح.

*تتبع الوحدات الدلالية يبقى لها جس الرئيسي في كل نقد يعتمد ماحقة التيمات في النص

رابعا : مآخذ المقاربة الموضوعاتية ونقدها:

وصفت المقاربة الموضوعاتية بالانطباعية وبأنه نقد البحاثه مثال ذلك النقد الذي قدّمه شارل مورون، إذ يقارن بين موضوعية منهجه المكتسبة من التحليل النفسي، وبين دراسات باشلار وبولي و ريشار وما فيها من ذاتية وعرضية كما أخذ عليها غياب الآليات الإجرائية والأسس النظرية رغم رصانة وعمق كل دراسة من دراسات المشتغلين عليها، ونتيجة لذلك ضم رولان بارت المنهج الموضوعاتي إلى كل المناهج التي تعتمد التأويل أو التفسير، حيث قسم النقد إلى تاريخي وتأويلي، ومما عيب على المقاربة الموضوعاتية أيضا فصل المضمون عن الشكل والمدلول عن الدال، لأنّ الشكل انبثاق للأعماق ، كما اعتبرها آخرون نقدا سرديا يشرح التيمات وهذا ما أكده تودوروف عندما لاحظ طغيان الطابع السردى على النقد الموضوعاتي.

المحاضرة الثانية: مصادر المقاربة الموضوعاتية :

تمهيد:

للمقاربة الموضوعاتية مصادر كثيرة ومتعددة منها ما هو فكري، ومنها ما هو نقدي بلاغي، ولكن أبرز أثر سجلته المقاربة الموضوعاتية في جهود روادها ومشتغليها هو النزعة الفلسفية وخاصة الفلسفة الظاهرية أو الظواهرية أو الفينومينولوجية، التي تنطلق منها والتي لا يكاد يخلو منها أي جهد موضوعاتي، كما تنفتح الموضوعاتية على مقولات الفلسفة الوجودية، والفلسفة التأويلية الهرمونيوطيقية، كما تستقي من مشارب إبستمولوجية تتجلى في انفتاحها على علم النفس وعلم المعجميات وعلم اللسان و السيميائيات والنقد الأدبي وعلم الجمال وشعرية التخيل.

أولا: الرافد الفينومينولوجي:

تستفيد القراءة الموضوعاتية من الظواهرية -هذه الأخيرة التي ولدت في ألمانيا على يد إدموند هوسرل وفلاسفة آخرون- و التي ينحصر مجال اشتغالها في بحث مشكلة الوعي، بالانطلاق من وعي الإنسان بنفسه، حتى يصل بعد ذلك إلى تحقيق وعيه بالعالم حسب مبدأ ديكرت أنا أفكر إذن أنا موجود راحت الفلسفة الظاهرية تقلب هذه المعادلة، لتؤكد أن الوعي هو دائما وعي بشيء ما فهي بحث في ماهيات المدركات ولا تعترف ببواطن الأمور، بل تنظر للظواهر من خلال ردّ الأشياء لحقيقتها؛ فهي تنطلق من الظاهرة إلى المعنى المدرك المتفق مع الخبرة المباشرة، والعودة إلى الأشياء مع التحرر من الافتراضات السابقة.

كما تقوم على الجدلية التي تقول: أنّ التجربة الإنسانية تتشكل في الحياة من خلال الوعي الذي يمثل أفضل طريقة لمعرفة المعنى الذي يستخلص من خلال هذه التجارب، وبذلك تكون الفينومينولوجيا هي؛ دراسة الوعي بالظواهر وطريقة إدراكنا لها، لتكون هذه الأفكار استثماراً من قبل النقاد الموضوعاتيين من أجل بناء أدوات نقدية عملية وفعالة توصلهم إلى اكتشاف جماليات النص الأدبي وعليه فالدراسة الموضوعاتية تتجه نحو دراسة الظهورات المتعددة للموضوع الواحد، من أجل الوصول إلى البنية المفهومية للنص الأدبي ومعرفة الأبنية الكلية، التي تمتد في معناها النص والتي تفضي بنا إلى ما يسمى بالموضوع، فهذا الموضوع ينبغي التمييز بينه كموضوع مستقل يتغير بتغير الزمان والمكان، وبين ظهوره في وعينا به ومعنى هذا؛ أن الوعي بالشيء الواحد هو وعي متحرك ومتعدد وبذلك نجد موضوعاتية نص أدبي ما، هي موضوعاتية واحدة بينما تختلف صور تجليها في وعي الكاتب، ومن ثمة أشكال تجسيد هذا الوعي في النص الإبداعي.

وهذه المنطلقات التي تستند إليها الفلسفة الظاهرية هي منطلق النقد الموضوعاتي عند غاستون باشلار، الذي اتخذها قاعدة لتفكيره وممارسته النقدية، التي مهد بها الطريق لتأسيس المنهج الموضوعاتي وتطويره على أيدي جان بيير ريشار وجان بول ويبر بالخصوص.

ثانياً: الموضوعاتية والتحليل النفسي:

أفادت الموضوعاتية من التحليل النفسي من خلال استعمال المقاربة الموضوعاتية قاموساً لمصطلحات التحليل النفسي من مثل: وساوس، هذيان، حلم، رغبة، طوابق الوعي المعنى الظاهري، المعنى الخفي ولذلك نجد أن النقد الموضوعي؛ لا يعمل على مستوى الوعي، ولا

على مستوى اللاوعي وإنّما على مستوى ما قبل الوعي الذي يرتبط باللغة أي بصور الكلمات، بغية الكشف عن معنى الرغبة الدفينة وراء اختيار المبدع لموضوع دون موضوع آخر، ليجعل منه مادة لإبداعه، والكشف عن الرغبة هو من صميم التحليل النفسي.

يتداخل المنهج الموضوعاتي مع التحليل النفسي في كون هدف الدراسة بالنسبة لكليهما هي إحضار المعنى إلى النص، أو ما يمكن تسميته بتضخيم المعنى، فكل من المقاربتين مضخمة للمعنى تحاول الولوج إلى أغوار النص ومعانيه العميقة، كما نلمس استقاء النقاد الموضوعاتيين من التحليل النفسي فكرة: أحلام اليقظة البدائية العميقة المترسبة في الذات المبدعة، استنادا إلى آراء كارل كوستاف يونج ، فالنقد الموضوعاتي لا يقتصر على تحديد الموضوعات فحسب بل يغوص في عمق اللاشعور لفك الرموز التي تسطع من عمق العقدة النفسية أو الجذر النفسي كما يسميها ريشارف في نظره تلعب العقد النفسية كصراع داخلي غير محلول يلقي بظلاله على إدراكنا للعالم دورا كبيرا في تشكيل الموضوع الأدبي.

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أنّ انفتاح النقد الموضوعاتي على التحليل النفسي وارتباطه بالفلسفة الظواهرية لا ينفي علاقته بالمناهج الأخرى، بل يستفيد بشكل كبير وواضح من البنيوية، الشكلائية الروسية، كما يستوعب النقد الأسطوري، و يرتبط بعلم الأفكار الذي يزود الناقد الموضوعاتي بمادة خصبة في التحليل، فالموضوعات المقصودة من قبل الكاتب متشكلة من مجموعة أفكار ينطلق منها الناقد وتكون شغله الشاغل في نتاج مبدع ما.

المحاضرة الثالثة: آليات المقاربة الموضوعاتية:

يقصد بالآليات الإجرائية في المنهج النقدي؛ تلك العمليات المنظمة التي يتبعها الناقد لتحليل النص الأدبي وكشف بنيته الداخلية، وهي وسيلة لضبط البحث وتحقيق أهداف الدراسة النقدية، ولكل واحد من النقاد الموضوعاتيين طريقته الخاصة بآلياته التي يبني عليها مقاربتة النقدية، وأغلب الذين كتبوا في مجال النقد الموضوعاتي لم يوحّدوا هذه الآليات الإجرائية التي حدّدوها الناقد جميل حمداوي في مجموعة من الركائز المنهجية، والمكونات الأساسية النظرية التي تتحكم في العمل الأدبي، ويمكن حصر هذه المكونات في المبادئ التنظيمية الآتي ذكرها :

تنبني المقاربة الموضوعاتية عند جميل حمداوي على التوفيق بين "روح النص" و"صرامة المنهج"، وهي رحلة تبدأ من عتبات النص لتستقر في أعماق رؤية المبدع للعالم.

المحور الأول: مرحلة التلقي والاتصال (عتبات النص)

تبدأ العملية النقدية قبل الدخول في المتن، من خلال:

1- القراءة الشعاعية العميقة والمنفتحة: هي مرحلة "الدهشة الأولى" والتعاطف مع النص لاستشعار نبضه الجمالي.

2- تحديد المكونات المناسية والمرجعية: استنطاق العناوين، الإهداءات، والسياقات التاريخية التي تمهد للموضوعة.

المحور الثاني: مرحلة التفكيك والإحصاء (المستوى الداخلي)

هنا يتحول الناقد إلى "محلل مخبري" يستخدم آليات لسانية دقيقة:

1-تشغيل المستوى الداخلي: رصد الحقول الدلالية وإحصاء الكلمات المعجمية والمفردات المتواترة (لغة الأرقام)

2-جرد التيمات واستخلاص الصور المتواترة: تتبع كيفية تحول الكلمة إلى صورة فنية (استعارة/رمز) داخل السياق الجمالي والذهني.

رصد الأفعال المحركة والمولدة: تحليل الأفعال في سياقاتها (الصوتية، الصرفية، التركيبية، والتداولية) كقوة دافعة للمعنى.

المحور الثالث: مرحلة التأليف والتركيب (بناء الشبكة)

بعد التفكيك، ننتقل من "الجزء" إلى "الكل":

الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى: تجميع الجزيئات اللسانية لبناء "الموضوعة الأم".

توسيع الشبكة الدلالية: ربط التيمات المرصودة ببعضها (تضاداً أو تكاملاً) لفهم الهيكل العام للنص.

بلوغ الجانب الحسي والبنية المهيمنة: الربط بين مادية الحواس (الألوان، الملمس) وبين النواة الفكرية التي تحكم العمل.

المحور الرابع: مرحلة التأويل الكلي (الرؤية للعالم)

وهي قمة الهرم، حيث يلتقي النص بالإنسان والواقع:

-التأرجح بين القراءة الذاتية والموضوعية: الموازنة بين حدس الناقد وبين الأدلة النصية الملموسة.

-الانتقال من الداخل النصي إلى التأويل الخارجي (والعكس): ربط بنية النص ببنية المجتمع والواقع النفسي.

ربط الدلالات (الواعية وغير الواعية) بصورة المبدع: فحص "الأنا" و"اللاوعي" لدى الكاتب من خلال ما قاله صراحة وما تسرب منه ضمناً، للوصول إلى "الرؤية للعالم".

خاتمة :

إن المقاربة الموضوعاتية ليست مجرد إحصاء للكلمات، بل هي حفر معرفي يهدف إلى تحويل النص من صمت الكلمات إلى حركية المعنى، ومن فردية المبدع إلى شمولية التجربة الإنسانية. وتنطلق الموضوعاتية، في تعاملها المنهجي، من التطابق والتماثل بين المعنى الواضح والمعنى العميق الضمني غير المباشر فهما وتفسيراً، من خلال ربط الداخل بالخارج، وربط الوعي باللاوعي في علاقتهما بما قبل الوعي، فأما المعنى الواضح فهو ما يقدمه النص بشكل مباشر، وأما المعنى الضمني فهو صدى المعنى الأول، إنه أفقه وهامشه على حد تعبير الفينومينولوجيين، وبين مستوى الواضح والضمني لا يوجد انقطاع وهذا الشعور بعدم وجود الانقطاع هو العامل المحرك للنشوة الموضوعية. فالتزحلق من المباشر إلى الضمني، من المقول إلى اللامقول هو تزحلق بلا فجوات، ويعني هذا أنّ المقاربة الموضوعاتية تعتمد على: الفهم الداخلي للنص المقروء بكشف بنيته المهيمنة الدالة معجمياً وتركيبياً ولسانياً وشاعرياً، وتأويله خارجياً اعتماداً على مستويات معرفية مرجعية مساعدة بإضاءة الفكرة، دون إسقاط قسري أو تعسفي.

المحاضرة الرابعة النقد الموضوعاتي عند الغرب -غاستون باشلار-

أولاً: غاستون باشلار السيرة والإنتاج العلمي

يعد غاستون باشلار من العلماء والفلاسفة الذين يصعب تصنيفهم في حقل بحثي واحد، فالإثارة والتعقيد أهم ميزتين لازمتا فكره، وكل من يتعرض لمشروعه الفكري يجد في أعماله و أفكاره تشكيلا غير متوقعا.

ولد باشلار في فرنسا سنة 1884، بدأ حياته المهنية كعامل بريد ، وحصل على البكالوريوس في الرياضيات، وبعد الحرب العالمية الثانية 1918، أصبح أستاذا للفيزياء والكيمياء، قبل حصوله على درجة الدكتوراه عن أطروحة أعدّها في فلسفة العلوم، ليعين بعدها أستاذا للتاريخ وفلسفة العلوم في جامعة ديجون 1940، ثم في جامعة السوربون حتى عام 1954، والإشارة إلى مسيرته هذه ضرورة لا يمكن تجاوزها، لأنها ستعكس لاحقا في أعماله و اشتغاله على المقاربة الموضوعاتية .

من أهم مؤلفاته: الروح العلمية الجديدة 1934، النار في التحليل النفسي 1937، تكوين العقل العلمي 1938، ليبدأ منعرجا جديدا في قضايا الشعرية فكتب، الماء والأحلام 1941، الهواء والأحلام 1943، الأرض وأحلام الراحة 1948، المادية العقلانية، شاعرية الفضاء 1957، شاعرية الخيال 1960.

ثانيا: مرتكزات المقاربة الموضوعاتية عند باشلار:

لم يكن باشلار ليصنف ضمن النقاد و الأدباء لاهتماماته الفلسفية والنفسية، إلا أنّ بحوثه عن عناصر الكون ؛ الأرض، الماء، الهواء، النار وتتبعه لشاعرية الشعراء جعله أقرب إلى الأدب، خاصة من خلال بعض أعماله مثل: شاعرية الفضاء و شاعرية الخيال، لهيب الشمعة ، شاعرية الحلم ، لتعد اهتماماته في النقد الموضوعاتي من أهم الإسهامات في النقد الغربي، ويرى عبد الكريم حسن أنّ غاستون باشلار يكاد يكون الأب الروحي للنقد الموضوعاتي، الذي كان فيه رائدا، لاحق الفضاء، والحلم والزمن، والكينونة.

ينتمي باشلار إلى صنف النقاد الذين ينادون إلى اختراق العمل الأدبي ذاته، والانطلاق منه قبل الالتفات إلى صاحبه، فهو بنيوي بطريقة ما، والخيط الرابط بين غاستون باشلار وغيره من الموضوعاتيين هو الاعتماد على الحدس المعرفي، أكثر من اعتماده على المعادلات الرياضية، فإذا كان النقاد الشكلازيون يهتمون بتقنية الشكل الأدبي وإطاره، فإنّ باشلار يهتم بتقنية مكونات هذا الشكل أو هذا الإطار، ومهما كان دور باشلار مهما في التأسيس للدراسة الموضوعاتية، فلا يمكن القول أنّ الموضوعاتية تنطلق كاملة من باشلار فهناك من يستعمل وبطرق مخالفة بعض الموضوعاتية البشلازية أو يتوافق معها .

يتمثل دور الناقد الموضوعاتي في نظر باشلار في التفاعل مع سلسلة الصور التي تنتظم العمل الشعري، وقد استخدم باشلار الصيغة الموضوعاتية التي اعتمدها أرسطو، في تفسير مكونات الطبيعة وهي: الماء، الأرض، النار، الهواء، ومضى على هذا التقسيم العام يختبر

استجابة الأدباء لكل عنصر في أعمالهم الإبداعية، معتمدا على تحليل الصور الشعرية الدالة عليه وذلك في كتابه شعرية الفضاء.

وتحتل مقولة فعالية الصورة في النتاج النقدي لبشار المساحة الكبرى إذ يرى أنّ؛ للصورة أهمية كبيرة في العمل الشعري، فالصورة عنده تعود إلى شبكة من الصور والمعنى يعود إلى شبكة من المعاني، وكل ذلك من أجل الوصول إلى البنية التخيلية للعمل المنقود، وتكتسي الصورة أهميتها من علاقتها مع أنماط الحياة البدائية للإنسان، فهي تعكس صدى ذلك العمق التاريخي، وتملك في الوقت نفسه خاصية الخلود، وهذا ما يجعلها قائمة في الأعماق في شكل أحلام يقظة، أو استهجمات لاشعورية تعود بنا إلى الماضي البعيد حيث كانت تتحدد العلاقة الأولى بين الإنسان وأشياء العالم الأساسية، الماء، الأرض، النار، الهواء.

يرى باشلار أنّ أكثر الصور إبداعية داخل القصيدة هي بالضرورة ولا محالة عاكسة لصدى الصورة البدئية لعلاقة الإنسان بهذه العناصر، "ولكن الشعراء يستطيعون استثمار هذه الصور أكثر من غيرهم، بما أوتوا من قدرة متميزة على التحليل والربط، وكل ما يطمح إليه باشلار في تحليله للصور الأدبية هو؛ العودة إلى الفعل البدئي والفعل البدئي هو؛ إعادة الصور إلى العنصر الأصلي الذي تنتهي إليه وفي إعادة الصور إلى فعلها البدئي نكون قد أعدنا الشاعر إلى مصدر إبداعه.

مهمة العملية النقدية البشارية هي؛ اكتشاف أنساق الاستعارات و ما تخفيه من دلالات عميقة في أغوار الطبيعة الإنسانية، ففي وسع الناقد الموضوعاتي أن يعيد كافة الصور الشعرية عند شاعر معين إلى عنصر معين من هذه العناصر الأربعة ماء، هواء... الخ،

وهنا تكمن خصوصية الفلسفة الجمالية البشّارية وانعكاسها على خصوصية الإبداع، فهي تعيد خصوصية الإبداع من خلال إرجاع العمل الأدبي إلى عنصر واحد وهذا العنصر لا يبحث عنه باشلار في الطبيعة وإنما داخل الفكر البشري من خلال الإبداع الأدبي.

ثالثاً: نقد منهج باشلار:

وصفت هذه المفاهيم والتحليلات البشّارية بالغامضة نتيجة غموض مصطلحاتها وافتقارها لأدوات إجرائية ملموسة، خاصة وأنّ حدس الناقد في العملية النقدية الموضوعاتية يتدخل بشكل حاسم، كما أنّ باشلار يستقي أغلب مقولاته من التحليل النفسي، رغم اعترافه بأنه ليس محللاً نفسياً لافتقاره إلى أدوات التحليل النفسي، كما أنّ مفهوم الصورة الذي يقصده غير واضح نظرياً، ممّا يتعذر معه الفهم التام لركائز المنهج الذي اتبعه في مجموع أعماله، فباشلار لم يكن ناقداً أدبياً بل أراد أن يضع فلسفة للصورة الأدبية.

المحاضرة الخامسة: النقد الموضوعاتي عند الغرب-جون بيير ريشار-

تمهيد:

ننتقل في هذه المحاضرة إلى مرحلة متقدمة من دراستنا للمقاربة الموضوعاتية، وهي مرحلة التجسيد النقدي، لأننا أمام أحد أعمدة هذه المقاربة في النقد الغربي، ودراستنا لريشار هي سعي لقراءة الجدلية التي حكمت مساره ، بداية من المسار التكويني الذي شكل وعيه النقدي، وصولاً إلى الأدوات الإجرائية التي جعلته قادراً على كشف الرؤيا للعالم داخل النص الأدبي، لأنّ ريشار ليس مجرد ناقد عادي، بل هو النموذج التطبيقي الذي أثبت فاعلية المقاربة الموضوعاتية.

أولاً : جون بيير ريشار سيرة ومسيرة

جان بيير ريشار ناقد أدبي فرنسي، ولد في مدينة مارسيليا الفرنسية بدأ دراسته العليا في المدرسة العليا للأساتذة في عام 1941، وحصل على شهادة الأستاذية في الأدب عام 1945، ثم على الدكتوراه في الأدب من جامعة باريس عام 1962، درّس الأدب في جامعات أجنبية ثم في فرنسا، وأصبح أستاذاً في جامعة باريس الرابعة عام 1978 اشتهر ريشار بنقده الأدبي الذي ركز على العلاقة بين الكتابة وتجربة العالم الحسية، كما ظهر ذلك في كتابه "الأدب والإحساس 1954: يدرس فيه أعمال ستندال، فلوبير، الشعر والعمق 1962: يبحث عن لحظة بداية الإبداع الأدبي.العالم الخيالي للارميه: 1962 دراسة مهمة حول الشاعر مالارميه

تأثر ريشار بفلسفة جون بول سارتر، وهوسرل وكذا بأعمال غاستون باشلار كما تأثر بعلم اللغة وعلم النفس، وعلم الدلالة، فأسس نقدًا موضوعاتيا يركز على وصف المناظر الأدبية والوعي الداخلي للأدباء ورغم ارتباطه بالتحليل النفسي بشكل خاص إلا أنه أسس لمقاربة مختلفة عن ما يدعى بالنقد النفسي، فالنقد الموضوعاتي عند ريشار لا يلتفت إلى الجوانب التقنية في تحليل الأعمال الشعرية والروائية فهو نقد؛ يهتم بالمعاني العميقة، فهو سواء في الشعر أو الرواية يبحث عن التيمات المتحركة في شاعرية الإبداع الروائي والشعري لا في التقنيات.

ثانيا :المشروع النقدي الموضوعاتي في كتابات جون بيير ريشار

يمكن القول إن النقد الموضوعاتي عند جان بيير ريشار يسعى إلى الغوص عميقًا في النص الأدبي، للكشف عن البنية الداخلية التي تشكل عالم الكاتب الحساس، وذلك من خلال تتبع الموضوعات المهيمنة وتحليل تكرارها وإحاحها، لا عن طريق استعائته بالتأويل بل بالإحصاء لأنّ القراءة الموضوعاتية عنده ليست تأويلا ولا تفسيرًا، وإنما هي وصف شامل يمكن تسميته بالجرد الذي يهدف إلى فهم رؤية الكاتب الفريدة للعالم والإنسان من أبرز المفاهيم عنده: المعنى، الحسية، الخيال، العلاقة، التجانس...الخ

جسد ريشار منهجه النقدي الموضوعاتي في كتبه "الشعر والعمق" و "الأدب والإحساس"، والأول تنمة للثاني، ففي كتابه الأدب والإحساس؛ قام بفحص المشاعر العاطفية، الحياء، الحزن، الفرح عند ستانداال، ثم الرغبة والنشوة عند فلوبير، أمّا في الشعر والعمق فقد تناول الأعمال الشعرية لثلاثة شعراء هم: بودلير، فرلين، رامبو، نرفال باتباعه

لطريقة واضحة بداية من محاولة "فهم النتاج الشعري و التعاطف معه من خلال اللحظة الأولى للإبداع والتي تكون عن طريق الاتصال الفزيائي للمبدع مع العالم من خلال الإحساس الخالص فينتج المعنى عن طريق اللغة، التي تحاكي هذا العالم وتعالج قضاياها والبحث عن قصدية الأدباء الأربعة، من خلال فحص الصورة الأدبية في اللحظة الأولى من عملية الخلق، كذا محاولة فهم العلاقات المسؤولة عن الانسجام الداخلي للأعمال الأدبية التي اختارها في دراسته.

وفي كتابه "قراءات مجهرية" يركز على النقد الموضوعاتي الذي يقوم على تحليل أدبي دقيق يركز على أصغر وحدات النص وكيفية إنتاجها للمعنى بتظاferها مع وحدات أخرى، فريشار يعرف الموضوع على أنه مبدأ تنظيمي أو ديناميكية داخلية، تسمح بتشكيل عالم النص وامتداده، ويبحث في القرابة السرية بين عناصر النص للكشف عن المعنى الخفي وراء المعنى الظاهر والصيغة الموضوعاتية التي ابتكرها ريشار، تبدو محيطية بكل القضايا التي يمكن أن يتناولها عمل أدبي ما، مع قول ريشار أنّ قراءته لا يمكن أن تنتهي إلى فهم تام للأعمال المدروسة، فكل قراءة ليست سوى محاولة ممكنة.

خاتمة:

إذن يمكن القول أنّ جوهر المقاربة الموضوعاتية عند جون بيير ريشار، هو محاولته عيش تجربة الكتابة من الداخل ، فهو لا يقرأ النص الأدبي ليحكم عليه، بل ليصنع تجربة معرفية فريدة، تذكرنا بأنّ النص الأدبي ليس مجرد كلمات أو تاريخ، بل هو عالم حي يحتاج إلى قارئ يمتلك حساسية كافية لالتقاط نبضاته الخفية، وتفكيك بنياته الشعورية.

المحاضرة السادسة النقد الموضوعاتي عند الغرب- جورج بولي:-

هو ناقد بلجيكي الأصل من مواليد 1902، يعدّ جورج بولي، من النقاد الموضوعاتيين الذاتيين، يرى بولي أن هدف النقد هو الوصول إلى معرفة صميمية بالعمل المنقود، وأنه لا يمكن بلوغ هذه الصميمية إلا داخل الفكر الناقد محل الفكر المنقود، ويسمى هذا النوع من النقد لدى بولي بالنقد التطابقي، الذي يتطابق فيه وعي الناقد مع وعي المنقود أو النص الأدبي.

تنطلق المقاربة الموضوعاتية عند بولي من زاوية فلسفية ذات نسق زمكاني ما ورائي بروح شاعرية كما فعل غاستون باشلار في شعرية الفضاء، ويعتبر جورج بولي (Poulet) من الذين تأثروا بباشلار، وقد تناول المكان والزمن بأسلوب فلسفي ميتافيزيقي وحُدسي، اهتم بولي بعنصري الزمن والمكان باعتبار أنّ وعي الفنان أو الكاتب بهذين العنصرين هو وعيه بذاته، كما يستعين بولي بالتحليل الظاهراتي للزمان والمكان، من أجل اكتشاف التجربة الأولى للكاتب أو ما يسميه الأنا المفكر البدئي للكاتب، جورج بولي لم يهتم بتحديد آليات وأسس إجرائية ثابتة في منهجه النقدي، إذ انصب اهتمامه كلياً على عنصري الزمان والمكان الذين يتحكمان في تشكيل الوعي حسب اعتقاده، وهذا الوعي هو الذي يحدّد طبيعة الإبداع والنصوص الأدبية هي وليدة وعي المبدع بهذين المحورين ؛ الزمن والمكان.

في كتابه " الشكل والدلالة" الصادر سنة 1962م بأن يرى جورج بولي أنّ الكاتب لا يكتب إلا ليعبر عن نفسه لا ليقول شيئاً ما، وهذا ما يؤكد مدى الترابط بين الذات والموضوع على المستوى الشعوري والظاهراتي وتداخل السيكلوجيا مع الموضوعاتي ويقارب بولي، في

مصنفاته النقدية، دراسة حول الزمان الإنساني. البعد الداخلي ، تحولات الدائرة، الفضاء البروستي. وكتاب الشعر المتشظي الذي تناول فيه إبداعات الشعراء الفرنسيين شارل بودلير وأرثر رامبو من خلال استجلاء الخصائص المميزة لهذين الشعراء.

وقد خلص من خلال تقصي عنصر الأنا المفكر البدئي إلى أن بودلير يشعر بقسوة خضوعه لحتمية الخطيئة الأصلية، التي تهدد بحرمانه من أية حرية ذهنية، لذا يتسلط عليه الماضي والندم، ولا يلمح في ذاته سوى أعماق حدود تمتد حتى أقصى فكره الاستعدادي.

وعلى العكس من ذلك، فإن رامبو يفيق في كل مرة على وجود جديد فهو معفى من أي إحساس بالندم، وحر في إعادة ابتكار عالمه وذاته في أية لحظة ويحوي كتابه الوعي النقدي مجموعة من المقالات حول أقطاب النقد الموضوعاتي. اهتم هذا الناقد بقضية الوعي المبدع وسعى هذا الناقد إلى تحليل ودراسات تجليات الوعي وربطه بعنصري الزمن والمكان خاصة في أعمال بروست.

قائمة المراجع :

- 1-حميد لحميداني: سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، منشورات دراسات سيميائية، فاس المغرب، ط1، 1990
- 2-جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعية، المكتبة الشاملة الذهبية، ط1، 2015.
- 3-سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، منشورات بابل، للنشر والطباعة، الرباط، المغرب، ط1، 1989.

4- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1990

5- محمد السعيد عبدلي: المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، منشورات الجاحظية، الجزائر، ط1، 2010.

6- عبد الحميد بيقة، رضوان جنيدي: النقد الموضوعاتي الأسس والإجراءات، مجلة أفاق علمية، مج 11، ع4، 2019.

7- الجوهرة بنت بخيت آل حهجاه: البنية الموضوعاتية في قصيدة حاتم الطائي، في ضوء التشاكل والتباين السيميائي، مجلة العلوم العربية، ع52، رجب 1440هـ.

8- سامية عليوي : من المنهج الموضوعاتي إلى منهج النقد الأسطوري، مجلة اللغة العربية، ع24.

9 - عمر بهليل ، محمد السعيد عبدلي: النقد الموضوعاتي من منظور محمد السعيد عبدلي، مجلة فصل الخطاب، مج12، ع 1، مارس 2020

10- رضوان ظاظا: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة .

11- أميرة الغامدي: النقد الموضوعاتي ، دراسة في المصطلح والمفهوم، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية جامعة برج بوعريج، مج 07، ع 2، جوان، 2025.

12- يادادكار لطيف الشهرزوري: الظاهراتية والنقد الأدبي، الأصول الفكرية للمناهج النقدية، قصيدة جذر السوسن لأدونيس ميدانا تطبيقيًا، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق سوريا، ط1، 2015.